

سياحة حديثة الى جهات اوربة

لاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

بافارية والمانيه

كان ميرنا من ثيئة في ١٠ ساء الاحد ٢٧ آب قاصدين بافارية ثم المانيه . وكان السفر ليلاً فلم يسمح لنا الظلام بتسريح النظر في الرياض النضرة التي قطعناها وفي وسط الليل بلغنا سلزبورغ اخر مدن النسبة في حدودها الغربية وهي واقعة على نهر سزاخ احد سواعد الطونة والمدينة قاعدة ولاية يأمر عليها دوق توكانة من اقارب الملك وقد اشتهرت بتولد الموسيقي النابغة مورزت سنة ١٧٥٦ وفيها عدة آثار تذكر به كسفال في احدى ساحات المدينة والمتحف المشيد على اسمه . واما كنيستها الكاتدرائية فقد شيدت في القرن السابع عشر على مثال كنيسة مار بطرس في رومية ثم دخلنا بافارية وسرنا في اقطارها العجيبة الكثيرة الناظر الجلية الشاهد من بحيرات وغابات ومروج وكنا نرى عند الصباح جبال التعرول تنتصب على شمالنا وهي قسم من جبال الالب الشهيرة بعاسنها الطبيعية كجبال سويسرة المصاوبة لها وفي راد الضحى حططنا عسا الترحال في مونيخ عاصمة بافارية احدى الدول المتحدة بالمانيه واسمها يدل على انها كانت قديماً ديراً للرهبان او من بعض اوقافهم وهي اليوم تحفة اضافة ما كانت عليه قبل مئة سنة يبلغ عدد اهلها نحو ٣٠٠٠٠٠ وتعرف مونيخ بأثارها الفنية من ابنة فضيحة وكنائس عظيمة وتماثيل جميلة ومتاحف ثمينة لاسيما تحف من التصاوير القديمة والحديثة لكبار المصورين فلما يوجد مثلها في اوربة . وفيها المدرسة الكليية الذائعة الصيت يعلم فيها مشاهير المدرسين . وللغات الشرقية في هذه الكليية مقام معتبر لشتهر بين اساتذتها الدكتور هومل وكان عند مرورنا في مونيخ غائباً عنها فلم نحظ بشاهدته الا انا لقينا في اصحاب مكتبها مجاملة ولفناً اوجب ثناءنا عليهم . ومكتبة مونيخ غنية باصناف التأليف يبلغ عدد كتبها مئات الوف بينها نيف و٣٠٠٠٠ كتاب مخطوط وقم منها في اللغات السامية كالغربية والسريانية والعبرانية طبعت قائمتها . ومن جملة ما اقتنته مكتبة احد مشاهير المتشرقين الفرنسيين دي كاتومار كانت اغنى مكاتب الخواص بالتأليف الشرقية . واهل مونيخ

كاهل باقارية اجمالاً من الكاثوليك المستعربين بالدين يعنون في كل الاعمال الشريفة الآيلة لخير الكنيسة وترقي الهيئة الاجتماعية . وقد زرنا يوم الاحد كنانهم فكانت غائصة بالحضرد يلوح التوى على وجوههم . وكنانهم بديعة الصنع وائمة المنظر خصوصاً الكنيسة الكاتدرائية على اسم العذراء مبنية على الطرز العوفي في القرن الخامس عشر ولها برجان لم يتم بناؤها حتى الآن وزرنا ايضاً كنيسة القديس ميخائيل غني بيتانها احد الرهبان اليسوعيين وبقرها كانت مدرستهم الشهيرة التي هي اليوم مكتب للعلم . واهل مونيخ يتفخرون بابتداع فن الطبع على الحجر ويصطنعون الجملة الفاخرة التي تعرف بهم وفي ٢٣ آب ركبنا القطار الى بلاد ورتبيرغ . فمرنا على اوغسبرغ احدى اناهات باقارية وهي شهيرة بما جرى فيها من المباحثات بين الكاثوليك واصحاب الاصلاح الارتراني . وكانت الجرائد وقت اجتيازنا تطلب في وصف المؤتمر الحادي والخمسين الذي عقده الكاثوليك الايمان ليس بعيداً من هناك في مدينة راتسبون وزاد هذه الحلة روتقاً ان جلالة الامبراطور غليوم تلطف هذه السنة وارسل تترافاً لاعضاء المؤتمر يشكرهم ويعدح مساعيهم في خير وطنهم كما اطراً البايا يوس العاشر غيرتهم واتحادهم

وبعيد الظهر ادركننا مدينة اولم على ضفة الطونة الشرقية وهذه المدينة تعد اليوم من بلاد ورتبيرغ بعد ان كانت سابقاً داخلة في بلاد سواب والوقت لم يسمح لنا بزيارة كنيستها الكاتدرائية من ابداع ووسع كنانس المانية وهي غويثة الطرز ترتقي الى القرن الرابع عشر فاكنتينا بان غلاً الصدور من منظر خارجها اذ كنا نرى من توافد القطار قوسها الخارجية وبرجها العجيب واروتتها المدهشة

وفي عصر النهار تولنا في ستوتغرت قاعدة بلاد ورتبيرغ وهي في بطحاء كثيرة الحطب تحيط بها الحدائق والبحيرات والغابات فتجعلها من اتره مدن اوربة لكن هذه المدن كلها تحميم فوقها الثيوم فتفقدتها كثيراً من هيجتها . فرحب بنا الكاثوليك الذين فيها واخبرونا ان قسماً من مواطنيهم اجروا الى بيروت فمدن الشام فالقدس الشريف لزيارة الاماكن المقدسة . وسراً ما رأينا في ستوتغرت من الحركة والنشاط فان هذه المدينة شهيرة بتجارها وفيها تصطنع ادوات الرصد الفلكية والآلات الطبيعية وتكثر فيها المنسوجات والاشمة وفيها سوق وانجبة لبيع الكتب كمدنية ليبسك يقصد فيها الكتيبون اجتماعاتهم السنوية . ومن خواص ستوتغرت حسن هندستها وفي حديقة

البلدة الوسطى شمال عظيم للامبراطور غليوم الاول راكبا جواده وهو من الشبه المطلي بالذهب اقيم سنة ١٨٨٤

ثم برحنا بلاد روتنبرغ متجهين الى ارخيدوقية باد قفضينا يوماً في عاصمتها كرنلروه (Carlsruhe) حيث يقيم الفرندوق فردريك ولهذا الامير قصر عالي البنيان جميل الهندسة واسع الردهات ذو زخرفة وقوش بديعة وكان الفرندوق واسرته غائبين فامكناً ان نتجول في كل انحاء داره الفخية فاذا كل شي فيها يشمر بعار شأن اصحابها مع سذاجة وعدم تكلف . اما المدينة فشهورة بصناعتها فيها معامل الحديد الكبيرة تصطنع فيها الآلات البخارية والاسلحة والدافع وهي قد بنيت على شكل المروحة رأسها قصر الملك ومنه ابتدئ بقية الاحياء على نصف دائرة

وارخيدوقية باد متاخمة لبلاد الازراس واللوران التي دخلت في حكم المانية بعد سنة ١٨٧٠ قطعتاها من الشرق الى الغرب وزرنا حاضرتها ستراسبورغ وكان دخولنا اليها في ٢٧ آب وقضينا فيها ثلاثة أيام . وهي مدينة حافلة بالمكان كثيرة الآثار فيها ابنية جديرة بالاعتبار اخذها كنيستها الكاتدرائية ذات البنيان العجيب والهندسة الرائعة يملؤها برج رفيع ينتهي الى تقطة وهو آية في الزخرفة وحسن الهندام . وفي هذا البرج جعلت تلك الساعة القريبة التي تعد من طرف الصنائع وستفرد لها مقالة خصوصية ان شاء الله

كلية ستراسبورغ من الكليات المتأخرة بتعاليمها وشهرة اساتذتها ولعلمها الشرقية فيها فرع خاص يقوم بتدريسها جل المعلمين ممن يصدقونهم حجة من هذا القبيل كالعلم تاودور نلدكه والمعلم ارتنغ الذي دخل غير مرة بوادي العرب طلباً للآثار القديمة من بيطية وغيرها . وبقر هذه الكلية مكتبة عامرة جامعة لاصناف المطبوعات والمخطوطات بينها تأليف سرانية وعبرانية وعربية مكنتنا العتال من النظر فيها مع ان المكتبة وقتئذ كانت مقفلة لم يسمح لاحد الدخول فيها فتشكر لاصحابها لظنهم وبجاملتهم . ومن الكتب العربية الجليلة التي وقفنا عليها هنالك « كتاب تحفة الملوكة لالشيرازي » . وكتاب « اسرار الطب لاسماعيل بن القم بن محمد » يحتوي مجباً غاية في الافادة للمواد الطبية والنباتية . ونسخة حديثة من كتاب « قوانين الدراوين لوزير شرف الدين ابي المكارم ابن ابي سعيد الشهيد بن

ماتي ، «تاريخ الحبر عن البشر للمقرزي» ، «تاريخ ابن القتيبة» وهو عزيز الوجود كثير الفوائد. و«تاريخ الاسلام للذهبي» ، وكتاب «طبقات النحاة لجلال الدين السيوطي» وهو اوسع من طبقات ابن الانباري. وكتاب «صورة الارض من المدن والجمال والبحار والجزائر والانهار لبطليموس استخرجه ابو جعفر محمد بن موسى» ، وهو كتاب فريد في بايو. وكتاب «الايشاح في المريئة لابي علي الفارسي» ، من اعز الكتب واتمها. وكتاب التنبهات على اغلاط الرواة لابي القاسم علي بن حمزة» ينه فيه على اغلاط التأليف اللغوية ككنودار ابي زيد ونوادير الشيباني وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوري و«الكامل للبرد و«فصيح ثعلب واصلاح النطق لابن السكيت والقصور والمدود لابن الولاد. وهناك ايضا بعض كتب نصرانية منها كتابان قديمان مخطوطان على رق الغزال يحتويان تراجم قديسين ومقالات دينية وميامر بينها «ميسر الابيا يته بن منصور الدمشقي على سياحة السيدة»

وفي ستراسبورغ يتروح المسافر رائحة فرنسة لما في اهلها حتى الآن من المادات الفرنسية في لبسهم ولقمتهم واخلاقهم . وقد ودعنا مدينتهم في صباح ٣٠ من آب ووجهنا باريس قبلتناها في عصر النهار

فرنسة وعودتنا

ولا ينتظر منا القارى ان نصف له تلك العاصمة الكبرى التي لا تقوم بوصفها الجملدات الضخمة وقد نشر احد ادباء المصريين كتابا دعاه «الدنيا في باريس» وخصه بوصف مرضها الشهير لكن هذا الاسم يطابق المعنى في كل احواله لان الفرنسيين قد احبوا ان يجسموا في حاضرة بلادهم ما يرى متفرقا في بقية البلاد وعليه تجدد في تلك العاصمة ما شئت من محاسن قبة وآثار صناعية وعاديات تاريخية ومتاحف ملكية وفنات اديئة ومزمارات دينية حتى لو اردت تتبع ماثرها مقسمة على عدد ايام السنة لا كفاك ذلك . ففي باريس القصور الشهيرة كقصر التويليري وقصر الايظه وقصر تروكاديرو وقصر فرسايل في ارباض المدينة . وفيها المعاهد السومية والمباني الدولية كدار الندوة ومجلس الشيوخ في لوكسمبرغ . وفيها المرح والملاعب الفسيحة كاللاويرا والميودروم . وفيها الاسواق الجامعة لتجارة العالم في صرح واحد كخازن اللوفر والبون مرش . وفيها الاعمال الصناعية الاثيرة كبرج ايفل وقصر الصانع . وفيها المكاتب الحافلة بالطبوعات

والخطوط تخص منها بالذكر المكتبة العصرية حيث اشغلنا سابقاً ثانية شهر وعناك من الكتب الشرقية عموماً والخطوط العربية خصوصاً (وهي نحو ٧٠٠٠) ما يندر وجود مثله إلا في بعض العواصم الكبرى ك لندن وبرلين ورومية . وفيها الكنائس العظيمة التي تسرق القلوب بحاسنها بعضها قديمة ككنيسة السيدة الكاتدرائية وكنيسة « المبد المقدس » وكنيسة القديسة جنثياف (البنتيون) ومنها حديثة كقبة الانتصار التي تراها صباح مساء غاصة بالتعبدين من اهل كل الطبقات والرتب وكبكل قلب يسوع على جبل الشهداء (Montmartre) قد أنفق عليه الكاثوليك قريباً من اربعين مليوناً من الفرنكات وهو لم يتم بعد . فهذه وايشاء كثيرة غيرها لا يمكننا تعدادها فضلاً عن وصفها . وخلاصة القول ان باريس تمدّ قطب التمدّن والعمران ومشوى مشاهير الزمان لولا انها ايضاً محط رحال ذوي الفن يكثر فيها التهتك وخرق الآداب والملاهي الباطلة هذه نبذة وجيزة من اخبار رحلتنا الى جهات اورنة وقد زرنا ايضاً انكلترا وبلجيكا إلا ان طوائنا في بلاد هاتين الدولتين تمّ على سرعة البرق باقل من عشرة أيام قضينا معظمها في مكبتي المتحف البريطاني ومكبة الآباء البولنديين في بروكل فلم يهتنا كثيراً النظر الى ما سوى ذلك لاسيما بعد ان كنا سابقاً اقنا مدة في انكلترا وروصنا عاصمتها الشهيرة بكثرة سكّانها ووفرة اعمالها وكل اصناف خيراتها . على اتنا لا نستطيع الألتنا . على الذين اجتمعناهم من افاض الفرنسيين والانكليزي والبلجيكين وعلماهم المتشرفين فقد خلّدوا في قلوبنا شكرهم لحفاوتهم وحنن التفانيهم ولما صار العشر الثاني من ايارول رجنا أدلجنا الى الوطن العزيز وغازدنا باريس على طريق اللانية فبقارية فالثمة فالاساتة العلية وركبنا يوم الاثنين ٢٦ ايلول الباخرة الروية التي اوصلتنا سالمين الى مرفأ بيروت . ألا أننا في عودتنا هذه بردنا على جبل اتوس فشاهدنا من هيته ما يأخذ بالابصار وهو عبارة عن رأس داخل في البحر ترتفع جبالة عودياً عن سطح المياه وهذه الجبال قاحلة في الغالب جرداء . لا يرى فيها الأاديرة كبيرة او مناسك منفردة يعيش فيها نحو عشرة آلاف راهب من رهبان الروم والبلغار والرومين . والأديرة تنيف على العشرين فيها الآثار النديسة القديسة والكنائس على الطرز اليوناني مع خزائن كتيبة يكثر فيها المخطوطات النادرة اليونانية . وللرهبان دسكرة على البحر فتأتيهم اليها الموتة بالبواخر . وكانت باخرتنا ناقلة لطعامهم ٣٠٠ كيس من

البطاطا. أما سالونيك فن اعظم مرافق الدولة العلية لها تجارة واسعة وعدد اهلها نحو ١٠٠٠٠٠ وهي اول مدينة اوربية زارها بولس الرسول واليها وجه رسالتين من رسائله وكان فيها للرهبان اليسوعيين سابقاً دير واليوم فيها رهبان من جميعه الآباء اللمازيين يخدمون اهلها بكل غيرة ولهم كنيسة كبيرة جميلة يقيمون فيها الرتب الدينية والإخويات التقوية . وعلى مقربة منهم راهبات الحبة يشتغلن في تربية البنات وتهذيبن ولهن مدارس زاهرة ومستشفى وميم وغير ذلك مما يربط السنة الجميع بالثناء عليهن . وكذلك لآخوة المدارس المسيحية مدرسة تترقى كل يوم في سبل النجاح . وكان وصولنا الى بيروت صباح يوم الثلاثاء من تشرين الأول شاكرين للدولى على عنايته الخاصة بنا في كل مسيرنا

مطبوعات شرقية جديدة

Lewis B. Paton: The early History of Syria and Palestine.
London, G. Routledge, 1902, iii-12, XXXVI-302, with 5 maps

اقدم تاريخ سورية وفلسطين

ارسلت الينا مطبعة رنتلج في لندن نسخة من هذا الكتاب الذي ألفه المستر باتون احد معلمى مدرسة هرتفرد الاكليريكية ليُدْرَج في سياق « التآليف السامية » التي يتولى نشرها الميوكريغ (J. A. Craig) من اساتذة كلية ميشيغان ليفيد بها طلبة المدارس وادباء العامة عن احوال الشرق وتاريخه وعماً طراً عليه من التقلبات في توالي الاعصار وما نفذ من عمارته في التمدن العربي . وتآليف للمستر باتون يشمل اقدم اخبار تعرف لبلاد سورية وفلسطين اعني انه يبحث عن اصول تاريخ هذه الاقطار الى أيام قورش وفتح بابل على يد الفرس ٥٣٩ قبل المسيح . وفي صدر الكتاب جداول تاريخية للازمنة التي يدور على محورها الكتاب ثم يليها قائمة للتآليف التي راجعها المؤلف لوضع كتابه وتفيد معرفتها المطالع . ثم يبحث الكتاب عن الاحداث التي حوت في سورية وفلسطين جيلاً بعد جيل مباشرة بدولة البابليين ثم دولة الفراعنة ولاسيا السلالتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ثم ظهور الاراميين وطور القضاء في